سِمَاتُ الرُّجُولَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أ.د. سالم بن غرم الله بن محمد الزهراني

الأستاذ بقسم القراءات بجامعة أم القرى

sgzahrani@uqu.edu.sa

(Umm Al-Qura University)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن أعظم ما تطمح له نفوس الشباب المسلم، وتأمله الأمة منهم هو أن يتصفوا بالرجولة، على ما أرادها لهم خالقهم عز وجل، وفق السمات التي رسمها لهم في كتابه العزيز، الذي يتضمن جميع الهدايات لجميع الخلق .

ولا ريب أن أعظم سمات الرجولة ما قرره القرآن الكريم وأثنى به على الرجال العظماء من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن بعدهم من الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

ولذا رغبت أن أتناول في هذا البحث (سمات الرجولة في القرآن الكريم).

خطة البحث: ستكون خطته كما يأتي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وخطة البحث ومنهجي فيه .

المبحث الأول: تعريف الرجولة، والفرق بينها وبين الذكورة، وبيان استعمالاتها في القرآن الكريم .

المبحث الثاني: سمات الرجولة من خلال آيات القرآن الكريم .

المبحث الثالث: وسائل تنشئة الرجولة في نفوس الشباب .

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات .

فهرس المصادر والمراجع .

منهجي في البحث:

سلكت في البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، باستقراء جميع الآيات المتعلقة بوصف الرجولة وتحليلها، وإبراز ما تحويه من سمات حث عليها القرآن الكريم، وكان من الخطوات الإجرائية التي اتبعتها في البحث ما يأتي:

- قدمت بمسائل تعريفية عن الموضوع تشمل تعريف الرجولة، والفرق بينها وبين الذكورة، وبيان استعمالاتها في القرآن الكريم، معتمداً في ذلك على المصادر والمعاجم اللغوية .

- استعرضت سمات الرجولة من خلال آيات القرآن الكريم سواء مما جاء النص فيه على لفظ الرجولة وهي في آيات عديدة، أو لم ينص فيه على لفظ الرجولة، ولكن جاءت في معرض الثناء على أصحابها المتصفين بها من عظماء الرجال، من الأنبياء والرسل والصحابة الكرام .

- ومع كون البحث مقتصراً على سمات الرجولة في القرآن الكريم إلا أني قد أوردت ما يدل على تلك السمات ويبينها من سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي هي بيان للقرآن الكريم .

هذا موجز منهجي في البحث، وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المبحث الأول: تعريف الرجولة، والفرق بينها وبين الذكورة، وبيان استعمالاتها في القرآن الكريم:

الرجولة في اللغة:

الرجل: الذكر من نوع الإنسان، خلاف المرأة، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ [الأنعام 9] وقيل: إنما يكون رجلاً فوق الغلام، وذلك إذا احتلم وشَبَّ، وقيل: هو رجلٌ ساعة تلدُه أمُّه إِلى ما بعد ذلك، وتصغيره (رجيل) و(رويجل) على غير قياس، والجمع رجال، ورِجالاتٌ جمع الجمع،

وقد يجمع رَجُل أَيضاً على رَجْلة، وقد يكون الرَّجُل صفة، أي: الشدّة والكمال، وهذا أَرْجَل الرَّجُلين، أَي أَشدُّهُما، أَو فيه رُجْلِيَّة ليست في الآخر، وقد يأْتي رَجُلٌ بمعنى راجل قال الزِّبْرِقان بن بدر:

آليت لله حَجًّا حافياً رَجُلاً   إِن جاوز النَّخْل يمشي وهو مندفع

ومثله ليحيى بن وائل وأَدرك قَطَرِيّ بن الفُجاءة الخارجي أَحد بني مازن حارثي:

أَمَا أُقاتِل عن دِيني على فرس   ولا كذا رَجُلاً إِلا بأَصحاب

لقد لَقِيت إِذاً شرّاً وأَدركني   ما كنت أَرْغَم في جسمي من العاب

وقوله رجلاً أَي راجلاً كما تقول العرب جاءنا فلان حافياً رَجُلاً أَي راجلاً، كأَنه قال أَما أُقاتل فارساً ولا راجلاً إِلا ومعي أَصحابي لقد لقيت إِذاً شَرّاً إِن لم أُقاتل وحدي .

ورَجِلَ الرَّجُلُ رَجَلاً فهو راجل، ورَجُل ورَجِلٌ ورَجِيلٌ ورَجْلٌ ورَجْلان الأَخيرة عن ابن الأَعرابي إِذا لم يكن له ظهر في سفر يركبه، وأَنشد ابن الأَعرابي:

عَلَيَّ إِذَا لاقَيتُ لَيْلَى بِخَلْوَةٍ   أَنَ ازْدَارَ بَيْتَ اللهِ رَجْلَانَ حَافِياً

والجمع رِجَالٌ ورَجَّالة ورُجَّال ورُجَالى ورُجَّالى ورَجَالى ورُجْلان ورَجْلة ورِجْلة ورِجَلة وأَرْجِلة وأَراجل وأَراجيل(1) .

وفي الاصطلاح:

(1) إكمال الإعلام بتثليث الكلام ص563 تاج العروس 29/33-53 كتاب العين 6/101 لسان العرب 11/265 المحكم والمحيط الأعظم 7/377-384 والمفردات 1/344 .

هي قوة إيمانية روحية تكمن في النفس فتحمل صاحبها على التحلي بمكارم الأخلاق ومعالي الأمور، وتُبعده عن المنكرات وكل سفاسف الحياة، وتجعل الصغير كبيراً في سلوكه مع الآخرين، وقوياً في ضعفه، وغنياً في فقره، يؤدي واجبه نحو نفسه، ونحو ربه، ونحو أمته ودينه ووطنه[1] .

الفرق بين الرجولة والذكورة:

الذَّكر ضد الأنثى، وجمعه ذُكُور وذُكْران وذِكارة، كحجر وحجارة، والتَّذكير ضد التَّأنيث[2] .

فالذكورة تعني الجنس، وهي مقابلة للأنوثة، وأما الرجولة فأصل إطلاقها على مرادف الذكورة، وهي مقابلة الأنوثة، فجنس الرجال مقابل لجنس النساء، وبهذا الإطلاق فليست هي الصفة الممدوحة التي وردت النصوص بالثناء على المتصفين بها، وإنما هي كما سبق: قوة إيمانية روحية تكمن في النفس فتحمل صاحبها على التحلي بمكارم الأخلاق ومعالي الأمور، وتُبعده عن المنكرات وكل سفاسف الحياة، وتجعل الصغير كبيراً في سلوكه مع الآخرين، وقوياً في ضعفه، وغنياً في فقره، يؤدي واجبه نحو نفسه، ونحو ربه، ونحو أمته ودينه ووطنه[3] .

وعلى هذا فإن كل رجل ذكر، وليس كل ذكر رجلاً، وعليه أيضاً فإن الإنسان لا يمدح لكونه ذكراً لأن ذلك خلق الله، ولا دور للإنسان فيه، وإنما يمدح الذكر لرجولته واتصافه بصفاتها، وتحقيقه لمقتضياتها .

استعمالات الرجولة في القرآن الكريم:

لم يرد ذكر الرجولة في القرآن الكريم بصيغة المصدر، وإنما ورد عدد من مشتقاتها في سبعة وخمسين موضعاً، وهي (رجل، ورجلان، ورجال – منكَّرة ومعرَّفة–) ويختلف

(1) الرجولة في القرآن الكريم دراسة موضوعية ص185 .

(2) ينظر العين 346/5 والمحيط في اللغة 235/6 ومختار الصحاح ص226 .

(3) الرجولة في القرآن الكريم دراسة موضوعية ص185 .

المراد بها، فبعضها يراد به النوع والجنس المقابل للأنوثة، وبعضها يراد به بعض صفات الرجولة، وبعضها يراد به النوع والصفة معاً .

وقد ذكر ابن الجوزي أن لفظ (رجال) بالجمع معرَّفاً كان أو منكراً ورد في القرآن على أحد عشر وجهاً[1] وهي: الرسل، والملائكة، والصابرون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوات، وأهل قباء، والمحافظون على أوقات الصلاة، والمقهورون من مؤمني أهل مكة، وفقراء المسلمين، والمشاة، والأزواج، والذكور، والكفار .

وذكر أن لفظ (رجل) المفرد معرَّفاً كان أو منكَّراً ورد على ثلاثة عشر وجهاً[2]، وهي: مثال ضربه الله عز وجل لنفسه، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ونوح عليه السلام، وهود عليه السلام، وموسى عليه السلام، ويوشع بن نون وكالب بن يوحنا، وحزقيل (مؤمن فرعون) وقيل: شروان، وحبيب النجار، ويمليخا وفطرس، وأبو مسعود الثقفي أو الوليد بن المغيرة، وجميل بن معمر الفهري، والوثن، والشيطان .

وذكر الفيروزآبادي أن لفظ الرّجل فى القرآن على وجوه[3]: بمعنى الشخص، وبمعنى أبو[4] مسعود الثَّقَفى، وبمعنى النبيِّ صلىَّ اللهُ عليه وسلم، وبمعنى حزبيل مذكِّر قوم فرعون، وبمعنى رجلين من بنى إِسرائيل مؤمن وكافر، يهودا وفُطروس، وبمعنى يُوشَعَ بن نُون وكالِب بن يوحنا، وبمعنى حَبيبٍ النَّجار، وبمعنى حزبيل مخبر موسى من مكر فرعون، وبمعنى الصَّنم، وبمعنى المؤمن والكافر .

المبحث الثاني: سمات الرجولة من خلال آيات القرآن الكريم:

(1) تنظر مع الآيات الواردة فيها في نزهة الأعين النواظر 326/1 .

(2) تنظر مع الآيات الواردة فيها في نزهة الأعين النواظر 328/1 .

(3) تنظر مع الآيات الواردة فيها في بصائر ذوي التمييز 41/3 .

(4) تصحف إلى (ابن مسعود) وهو خطأ ظاهر، والصواب (أبو مسعود) كما عند ابن الجوزي .

لما كان القرآن الكريم هو مصـدر الهداية الأول للناس في جميع شـؤون حياتهم، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ ﴾[الإسراء 9] حيث ذكر جلَّ وعلا أنَّ القرآن العظيم يهدي للتي هي أقوم، أي الطريقة التي هي أسـد وأعدل وأصـوب، وقد أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها(1) .

فهو يهدي للتي هي أقوم على وجه الإطلاق في من يهديهم وفي ما يهديهم، فيشمل الهدى أقواماً وأجيالاً بلا حدود من زمان أو مكان ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان (2) .

ومن هداية القرآن للناس هدايته إلى القيم الأخلاقية التي تحكم تعاملهم، والسمات النبيلة التي حث الإسلام على التخلق بها والحرص عليها والالتزام بها، ومن تلك السمات التي جاءت دلالات القرآن الكريم بالحث عليها وتأكيدها؛ سمات الرجولة، التي متى عرفها الرجال وتخلقوا بها حققوا معنى الرجولة التامة التي يريدها الله، ويحث عليها الشرع المطهر، وفيما يأتي ذكر أهم سمات الرجولة في القرآن الكريم، وهي:

1- تعلق القلوب بالمساجد:

وهو من أعظم السـمات التي أثنى الله بها على أصـحاب الرجولة، فقال تعالى ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٞ ﴾[النور 36-37] .

(1) أضواء البيان 17/3 .

(2) في ظلال القرآن 2215/4 .

والبيوت هي المساجد، وهي بيوت الله، كما في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الْمَسَاجِدُ بُيُوتُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، تُضِيءُ لأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تُضِيءُ نُجُومُ السَّمَاءِ لأَهْلِ الأَرْضِ »[1] .

وهذا التعلق بالمساجد وملازمتها إنما هو للعبادة، وعلى رأسها فريضة الصلاة التي أوجب الله على الرجال أداءها في بيوته، وهو من أعظم سمات شخصية الرجل المسلم؛ لأن ذلك يوثق صلته بالله تعالى، الذي يستمد منه كل عون وتوفيق، ومتى حافظ الرجل على صلته بربه وعلى الصلاة في بيوته وفقه الله تعالى للكمال في أخلاقه وتصرفاته وأعماله، وقد قال الله تعالى ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾[العنكبوت 45] .

وقد قرر القرآن الكريم ذلك أيضاً في قول الله تعالى ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾[التوبة] فدلت الآية على أن من سمات الرجال المتقين أنهم من أهل المسجد الذي أسس على التقوى، فهم فيه من القانتين العابدين لله رب العالمين، وهذا هو سر نجاحهم وفلاحهم ومكمن رجولتهم وعزتهم وقوتهم، فهم من أهل بيوت الله، المتصلين بحبل الله، المحافظين على الصلوات في المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله[2] وهي مكانهم الذي يألفونه ويأوون إليه كل يوم وليلة، فليسوا كغيرهم ممن لا يأبه بتلك البقاع، ولا يحرص عليها .

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير 126/9 برقم (10461) والبيهقي في شعب الإيمان 380/4 برقم (2687) .

(2) كما في حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه ، وهو في مسند البزار 352/8 برقم (3430) .

وتعلق القلوب بالمساجد من صفات الرجال العظماء الذين حازوا على شرف الرجولة، وفازوا بظل الله يوم لا ظل إلا ظله، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله – ذكر منهم: ورجل قلبه معلق في المساجد – »[1] .

إن المسجد بيتٌ لكل تقي، ولا يعمره إلا صفوة البشر ولا يهجره إلا أراذلهم ؛ لأنه منبع كل خير وله ينتهي كل معروف وهو مهبط الرجال فيه ينشأون على حب الخيرات وبغض المنكرات، ومكارم الأخلاق، ولذا قال تعالى ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ﴾ .

فهؤلاء الرجال عمّروا بيوت الله عمارة معنوية بكثرة التردد عليها والصلاة فيها، وبالأذكار وتلاوة القرآن، هؤلاء هم الصفوة المختارة الثابتة على منهج الله تعالى، والله يدلنا على منابع الصدق وأماكن الثبات على الحق، وأحب البقاع إليه، حيث قال تعالى ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾[النور 36] فقوله ﴿ فِى بُيُوتٍ ﴾ متعلق بقوله ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا ﴾ وتقديم المجرور للاهتمام بتلك البيوت وللتشويق إلى متعلق المجرور وهو التسبيح وأصحابه، والتقدير: يسبح لله رجال في بيوت، وقوله ﴿ فِيهَا ﴾ تأكيد لقوله ﴿ فِى بُيُوتٍ ﴾ لزيادة

(1) رواه البخاري 168/1 برقم (660) ومسلم 93/3 برقم (2427) .

الاهتمام بها، وفي ذلك تنويه بالمساجد وإيقاع الصلاة والذكر فيها كما في الحديث: « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة »(1) .

وتخصيص التسبيح بالرجال لأنهم الغالب على المساجد كما في الحديث « ورجل قلبه معلق بالمساجد » ولأنهم المكلفون بالصلاة في المساجد(2) .

2- الحرص على الطهارة:

وقد أثنى الله على المؤمنين بأنهم يحبون الطهارة ويحرصـــون عليها، فيأتون إلى المساجد وهم على طهارة، قال تعالى ﴿ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ ﴾[التوبة] فالصـلاة لا تصـح بلا وضـوء، لأن من يقف بين يدي ربه لا بد أن يتصـــف بأجمل الخصـــال من الطهارة والنظافة لملاقاة الله بطهارة في ثوبه وبدنه .

وقد امتدح الله أهل مسجد قباء لأنهم رجال يحبون أن يتطهروا حسياً بأبدانهم من الحدث وبأثوابهم والمكان الذي يؤدون فيه العبادة، ولحرصهم على الغسل والوضوء والله يحب أهل الطهارة والنظافة ويرضى عنهم(3) .

ومن اعتنى بطهارة الظاهر من الثوب والبدن كان لزاماً أن يكون أشد حرصاً على طهارة الباطن , فيتطهرون طهارة معنوية من المعاصي والخصال الذميمة لتحقيق مرضاة الله تعالى ؛ لأن الطهارة تكون من الذنوب بالتوبة والأعمال المكفرة للذنوب، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ

(1) رواه البخاري 165/1 برقم (645) ومسلم 122/2 برقم (1509) .

(2) التحرير والتنوير 196/18 .

(3) ينظر التفسير الوسيط 919/1 .

﴿أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[التحريم 8] وذلك مكمن اتصافهم بالرجولة الحقة، التي يحب الله المتصفين بها ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾.

فالرجال في المجتمع الإسلامي يحرصون على نيل الطهارة بكافة أنواعها، فهم يطهرون أجسادهم بالماء فلا تمرض ويطهرون أرواحهم بالصلاة فلا تنحرف ويطهرون أموالهم بالزكاة فلا تنقص، ومن خلال ذلك كان المجتمع مجتمعاً طاهراً نظيفاً[1] .

والرجل مطلوب منه أن يكون حريصاً على التطهر والنظافة والجمال، ولما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: « إن الله جميل يحب الجمال »[2] .

3- الذكر الدائم لله تعالى:

وهو من أخص صفات الرجال التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم، قال تعالى ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ﴾[النور 36-37] أي: في أول النهار وآخره[3]، لأنهم ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فهم أصحاب همم عالية وعزيمة صادقة، ورجولة حقه .

(1) ينظر رجال أنزل الله فيهم قرآناً 18/8 .

(2) رواه مسلم 65/1 برقم (275) .

(3) ينظر جامع البيان 146/18 ، والتفسير الوسيط 1754/2 .

فالله تعالى أذن لعباده أن يذكروا اسمه في بيوته، والذكر يعم جميع الأذكار التي منها تلاوة القرآن الكريم ؛ لأن التلاوة من معاني ذكر الله، كما يشمل الذكر توحيد الله تعالى وهو قول لا إله إلا الله، وذكر أسمائه الحسنى .

فالرجال المؤمنون لا تتوقف ألسنتهم عن ترديد ما توقن به قلوبُهم من الإيمان الصادق بالله، فهم يذكرون الله على كل أحوالهم، قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾[آل عمران] .

4- الخشيةُ من الله:

من سمات الرجال الأتقياء خشيتهم من الله وخوفهم منه سبحانه، فهم لإيمانهم بالله لا يخافون إلا منه سبحانه، ولا يهتمون بقوة أحد سواه ؛ لأنهم موقنون أن كل ما سوى الله فهو ضعيف عاجز أمام قوة الله .

وقلوب الرجال لا تعرف الجبن أو الخور، فهي قوية متينة، لكنها تذوب من خشية الله تعالى ولا سيما عندما تتذكر الآخرة يوم الحساب، ويؤدون ما افترض الله عليهم من الواجبات ويتقربون إليه بأنواع الطاعات لأنهم يخافون ربهم ويخشون يوم الحساب والجزاء(1)، قال تعالى: ﴿ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ ﴾[النور] ومع هذا الخوف يعلقون رجاءهم بثواب الله ومغفرته، ومن خاف ربه خافه كل شيء، وأمنه ربه من كل شيء .

5- إقامة الصلاة:

(1) ينظر في ظلال القرآن 2520/4 ، وأيضاً فتح الرحمن 2352/4 .

الصلاة هي أهم العبادات العملية وأعظمها، وهي الصلة بين العبد وربه، يستمد العبد منها قوة الإيمان والصبر وتحمل مصاعب الحياة، وتخفف مصائبه، وتجلو همومه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة[1] وكان صلى الله عليه وسلم يقول: « أرحنا بها يا بلال »[2] .

وبصلاحها تصلح أعمال العبد يوم القيامة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح له سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله »[3] .

وإقامة الصلاة والمحافظة عليها أعظم سمات الرجال الصادقين، فهم يحرصون على أدائها في بيوت الله، يحافظون عليها، ولا يشغلهم عنها شاغل، قال تعالى ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ... ﴾[النور 37].

فالرجال يقيمون الصلاة في مواقيتها بدون تأخير أو تقصير، وهم مع اشتغالهم بالتجارة والبيع والشراء لا يغفلون عن الصلاة، ولا يلهيهم ذلك عن أدائها مع الجماعة في المسجد[4] .

ويؤدونها كما أمر الله بتواضع وخشوع وخضوع لله تعالى، قال سبحانه ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾[المؤمنون] .

6- إيتاء الزكاة:

---

(1) كما روى ابن قانع في معجم الصحابة 189/2 ، برقم (684) .

(2) رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار 167/14 .

(3) رواه الطبراني في المعجم الأوسط 240/2 برقم (1859) والطوسي في مختصر الأحكام 365/2 .

(4) ينظر الأساس في التفسير 3775/7 والتحرير والتنوير 248/18 ومحاسن التأويل 391/7 وفي ظلال القرآن 2520/4 .

ومن سمات الرجولة بذل الأموال بكرم وطيب نفس، وأداء حق الله في الأموال بإيتاء الزكاة إلى مستحقيها، والزكاة طهارة للمال، وطهارة لنفس صاحبها من الشح والبخل، فبها يزكو ويطهر من أدران الجشع والأنانية، ويشعر بجوع الفقراء وتوجع المعوزين، لهذا يتصف الرجال بالعطاء والنجدة لكل المحتاجين ويسرعون في سد حاجات إخوانهم بدون تردد، قال تعالى ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾[النور 37] .

وإيتاء الزكاة من الأوصاف المهمة والأساسية للمؤمنين المفلحين المخلصين، فالرجال المؤمنون لا يقصرون في حق أحد، فهم يقيمون صلاتهم على أكمل وجه ويمدون أيديهم بالخير والنفع لإخوانهم، فالخير يجري على أيديهم وألسنتهم دون توقف ؛ لأنهم صادقون مع الله ومع أنفسهم وأمتهم .

ولقد كان موقف أبي بكر في شأن مانعي الزكاة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من أبرز مواقف الرجولة حين شدد عليهم واعتبرهم مرتدين عن الإسلام، فحاربهم لتفريقهم بين الصلاة والزكاة، وقال كلمته الشهيرة: "والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليها"(1) .

7- قوة الإيمان بالله والخوف منه والتوكل عليه:

ويجسد هذه السمة ذانك الرجلان المؤمنان من أتباع موسى عليه السلام، فقد أثنى الله عليهما بأنهما ثبتا لما امتنع بنو إسرائيل عن ما دعاهم إليه موسى عليه السلام حين قال لهم ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟

(1) ينظر صحيح البخاري 131/2 برقم (1400) وإتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ص24- 25 ومختصر سيرة الرسول 257/1 .

خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[المائدة] فردوا عليه بقولهم ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ وعند ذلك برزت قيمة إيمان الرجلين باللّه تعالى، وخوفهما منه، وتوكلهما عليه، وأنشأ لهما ذلك الخوف والتوكل قوة وعزيمة وشجاعة وأمناً في ساعة الشدة والخوف، فاستهانا بأولئك الجبارين، وصمدا في وجه الخطر الموهوم، فقالا لقومهم: ﴿ ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المائدة] .

وهذه ثمرة الإيمان بالله والخوف منه سبحانه، فإنه لا يجمع في قلب واحد بين مخافتين، مخافته جل جلاله، ومخافة الناس، والذي يخاف اللّه لا يخاف أحداً بعده ولا يخاف شيئاً سواه .

وقد رسما قاعدة في علم القلوب وفي علم الحروب، حين دعوا قومهم إلى الإقدام والدخول (أقدموا واقتحموا) فمتى دخلتم على القوم في عقر دارهم انكسرت قلوبهم، بقدر ما تقوى قلوبكم، وشعروا بالهزيمة في أرواحهم، وكتب لكم الغلب عليهم .

وأوضحا لهم مأخذ تلك الجرأة ومنبع تلك القوة والعزيمة وهي التوكل على الله الذي هو من مقتضيات الإيمان به ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ فعلى اللّه وحده يتوكل المؤمن، وهذه هي خاصية الإيمان وعلامته وهذا هو منطق الإيمان ومقتضاه[1] .

8- المسارعة والمنافسة في الخيرات:

(1) ينظر في ظلال القرآن 870/2 .

وقد أثنى الله على عبادة المســارعين في فعل الخيرات فقال تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾[الأنبياء 90] فأصــحاب الرجولة الحقة يبادرون للأعمال الصــالحة قبل ظهور العوائق وقبل فجأة الموت وإســتتمام الرحيل، كما جاء في وصــية النبي عليه الصــلاة والســلام: « اغتنم خمسـا قبل خمس: شـبابك قبل هرمك، وصـحتك قبل سـقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، حياتك قبل موتك »[1] .

فصـاحب الرجولة الحقة ينبغي له أن يغتنم فرصـة الصـحة والقوة والشـباب والراحة ليجعل أوقـاته كلهـا طـاعـة لله، وينـافس في المتـاجرة مع الله عز وجـل، قـال تعـالى ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[المطففين] وقال الحســن رحمه الله: « إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة »[2] .

فالرجل الحق يريد الجنة ويبحث عن السعادة الحقيقية ويجعل حياته وقفاً على طاعة الله ومرضاته، وإرادته مقصورة على محابه، وتنافسه في الدنيا من أجل تحصيل النعيم المقيم في الدار الآخرة، وهذه الهمة أعلى همة شمر إليها السابقون وتنافس فيها المتنافسون .

والتنافس في أمر الآخرة، والسعي لنعيمها يصلح الأرض ويعمرها ويطهرها للجميع، ويجعل الدنيا مزرعة للآخرة، ويجعل منها عبادة تحقق غاية وجود هذا الإنسان كما قررها الله سبحانه وهو يقول ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات] .

(1) رواه النسائي في السنن الكبرى 400/10 برقم (11832) والحاكم في المستدرك 341/4 برقم (7846) .

(2) ينظر الزهد لابن أبي الدنيا 38/2 .

9- الحرص على ترك المعاصي والسيئات:

فمن سمات الرجولة الحقة أن أصحابها من أحرص الناس على ترك النقائص ومجانبتها، وعلى رأسها المعاصي والمنكرات لا سيما الكبائر والفواحش، فيبتعدون عن المعاصي والسيئات، ويجتنبون الفواحش، ويبادرون إلى ذكر الله وطلب مغفرته عند الوقوع في شيء من ذلك جهلاً؛ لعدم علم أو غلبة هوى، ويحذرون من الإصرار على الزلات .

وقد أثنى الله على من يقلعون عن المعاصي والفواحش ويستغفرون ربهم، فقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ ﴾[آل عمران] .

فإذا أحدث أحدهم ذنباً سارع بالتوبة، وجعل من نفسه رقيباً وبادر لغسل الخطايا بالإنابة والاستغفار وعمل الصالحات، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ ﴾[الأعراف] .

وقد جسد ذلك أعظم الرجال في هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم، وهم صحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فقد كان كثير منهم يشربون الخمر ويألفونها لسنين طويلة فلما أنزل الله تعالى قوله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ ﴾[المائدة] قالوا من فورهم: انتهينا انتهينا(1)، بل قال أنس بن مالك رضي الله عنه: « .. فإني لقائم أسقى أبا طلحة

---

(1) ينظر الدر المنثور 545/2 وتفسير ابن كثير 578/1 والنكت والعيون 64/2 .

وفلاناً وفلاناً وفلاناً، إذ جاء رجل فقال: وهل بلغكم الخبر ؟ فقالوا: وما ذاك، قال: حرمت الخمر، قالوا: أهرق هذه القلال يا أنس، قال: فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد الرجل »[1] .

10- الصدق في العهد والثبات على المنهج الحق:

وهو من السمات اللازمة للرجال، سواء كان عهداً مع الله أو مع الناس، قال تعالى ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ ﴾[الأحزاب] .

قال الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية: « ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ ﴾ أي: وفوا به، وأتموه، وأكملوه، فبذلوا مهجهم في مرضاته، وسبَّلوا أنفسهم في طاعته ﴿ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ ﴾ أي: إرادته ومطلوبه، وما عليه من الحق، فقتل في سبيل اللّه، أو مات مؤدياً لحقه، لم ينقصه شيئاً ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ ﴾ تكميل ما عليه، فهو شارع في قضاء ما عليه، ووفاء نحبه ولما يكمله، وهو في رجاء تكميله، ساع في ذلك، مجد ﴿ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ كما بدل غيرهم، بل لم يزالوا على العهد، لا يلوون، ولا يتغيرون، فهؤلاء، الرجال على الحقيقة، ومن عداهم، فصورهم صور رجال، وأما الصفات، فقد قصرت عن صفات الرجال »[2] .

---

(1) صحيح البخاري 67/6 (4617) .

(2) تيسير الكريم الرحمن ص660 .

فالرجولة تجعل صاحبها يتمسك بالحق ولا يحيد عنه؛ لأنه عرف الصواب وآمن به، فلا تراجع إلى الباطل ولا دفاع عمّا سوى الحق، بل يوفي بما عاهد الله عليه من الإيمان والطاعة وفعل الصـــالحات ومجانبة السـيئات والإخلاص في كل الأعمال والصـبر والجهاد، قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾[الفتح][1]، والرجولة تُلزم صـاحبها أيضـاً بالوفاء بالعهد مع النـاس، ممتثلين في ذلـك لقول اللـه تعـالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾[المائدة 1] ولقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾
[الرعد] .

وهكذا الرجال الذين تربوا على مائدة القرآن الكريم، في صدقهم والتزامهم بعهودهم ومواثيقهم مع خالقهم ومع أنفسهم ومع الناس جميعاً[2] .

11- الهمة في الدعوة إلى الله ونصرة الدعاة والناصحين:

وهي من سمات الرجال العقلاء الذين وفقهم الله لاتباع الحق، ومناصرة الدعاة إليه، والاستجابة لدعوتهم، وقد امتدح الله بها حبيباً النجار صاحب يس[3] في قوله تعالى ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[يس] .

(1) ينظر تفسير ابن كثير 392/6 ومحاسن التأويل 58/8 وفتح الرحمن في تفسير القرآن 2790/5 .
(2) الرجولة في القرآن الكريم – دراسة موضوعية ص194 .
(3) ينظر تفسير ابن كثير3 /569 والدر المنثور 51/7 .

فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعد ما رأى فيها من دلائل الحق والمنطق ما يتحدث عنه في مقالته لقومه، وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة في ضميره فلم يطق عليها سكوتاً ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله والجحود والفجور، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره وتحرك في شعوره. سعى به إلى قومه وهم يكذبون ويجحدون ويتوعدون ويهددون. وجاء من أقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق، وفي كفهم عن البغي، وفي مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشكون أن يصبوه على المرسلين .

وظاهر أن الرجل لم يكن ذا جاه ولا سلطان، ولم يكن في عزوة من قومه أو منعة من عشيرته، ولكنها العقيدة الحية في ضميره تدفعه وتجيء به من أقصى المدينة إلى أقصاها[1] .

12- تقديم النصيحة في حال الخوف:

ولقد كان هذا موقف مؤمن آل فرعون ذلك الرجل المؤمن الذي ذكره الله في كتابه بقوله ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[القصص].

فجاء إلى موسى عليه السلام وكشف له مخططاتهم، وعرّى دسائسهم ونياتهم الخبيثة، ونصحه بأن يخرج من المدينة.

قال ابن كثير رحمه الله: « وصفه بالرّجُولية لأنه خالف الطريق، فسلك طريقًا أقرب من طريق الذين بُعثوا وراءه، فسبق إلى موسى، فقال له: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ ﴾ أي: يتشاورون فيك ﴿ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ ﴾ أي: من البلد ﴿ إِنِّى

(1) ينظر في ظلال القرآن 2963/5 .

لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ »[1] فهذا الرجل يأتي يسعى، ويختصر الطريق؛ ليحذر نبي الله موسى عليه السلام، وفي حال الخوف، وإنما يتقدم الرجال بالنصح لله عز وجل رغم الخوف الذي يكتنفهم، وأجواء الإرهاب التي تحيط بهم، فيقومون بواجب النصيحة .

رجل واحد يفعل أفعالاً لا تفعلها أمة بأسرها، رجل واحد يعدل غثاءً، بل إنه يرجح على هذا الغثاء المترامي الأطراف، الذي لا يجمعه تصور واحد، ولا منهج واحد، ولا عقيدة واحدة، يقوم هؤلاء الرجال بواجب النصح لله عز وجل، ويحذرون أولياء الله من المخاطر التي تحدق بهم .

13- الوقوف في وجه الظلم:

وهذه السمة من سمات الرجولة ظاهرة في موقف مؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، لكنه لم يستطع السكوت عندما علم بعزم فرعون على قتل نبي الله موسى عليه السلام، وقرر الوقوف في وجه الظلم، ومناصرة الحق، ولم يخش على حياته التي توقع أن يدفعها ثمنًا لموقفه، ولم يخش على منصبه الكبير عند فرعون، فنهاه عن قتل موسى عليه السلام وحاول إقناعه بأن ذلك ليس من الحكمة والمصلحة، ولم يكتف بذلك، بل توجه إلى موسى وأخبره بما يخطط له فرعون وزبانيته، ونصحه بالخروج من مصر .

وقد استحق هذا المؤمن وصف الله له بالرجولة حيث قال سبحانه ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤۡمِنٌ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ

(1) تفسير ابن كثير 226/6 .

وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[غافر] .

وأكد على وصفه بالرجولة في موضع آخر فقال تعالى ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[القصص] .

14- الشجاعة والإقدام عند الجبن والإحجام:

وهي من أخص سمات الرجولة، فلما أمر نبي الله موسى عليه السلام قومه لدخول الأرض المقدسة التي سكنها العمالقة أو العماليق؛ وقال لهم ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[المائدة] فكلفهم بالجهاد في سبيل الله تعالى لتطهير الأرض المقدسة من الاحتلال ظهر الجبن والخور والضعف والاستكانة التي ملأت قلوبهم وطفحت على ألسنتهم وعندها ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المائدة] .

هكذا وبلا قتال ولا بذل للمال أو النفس، بلا تعب ولا نصب، بلا جهاد ولا رباط، لأن الأمر هنا لا يوافق هواهم ولا يستقيم مع أمزجتهم، إنهم يريدون أن ينتصروا دون أدنى تكلفة ، وفي هذا الجو الذي خيم عليه الجبن والخور، تظهر الرجولة في أسمى معانيها تدفعها قوة الإيمان وصدق اليقين، وحسن التوكل على الله عز وجل .

تظهر الرجولة في رجلين من قوم موسى، خلع الله عليهم حلة الرجال وكساهم بسرباله وزياهم بزيه، لم يسموا أنفسهم ولم يرفعوا شعاراً لينضووا تحته ؛ بل الذي رفع لهم الشعار ونصب لهم اللواء إنما هو الله جل في علاه، قال تعالى ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[المائدة] .

وعلى هذا المعنى العظيم للرجولة والفهم الدقيق لمعالمها ربى الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه والأمة كلها من بعده تربية عملية، فكان صلى الله عليه وسلم أشجع الرجال بل لم تسمع العرب عن رجل فاقت شجاعته شجاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

15- الشدة على الكافرين والرحمة للمؤمنين:

فمن صفات الرجولة أن يكون الرجل شديداً على أعداء الله الكافرين، وأن يكون رفيقاً رحيماً بإخوانه المؤمنين، قال الله تعالى في وصف عباده المؤمنين ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح 29] وقال تعالى ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[المائدة 54] فأصحاب الرجولة الحقة أذلة للمؤمنين من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم، وهم على الكافرين بالله؛ المعاندين لآياته؛ المكذبين لرسله؛ أعزة، قد اجتمعت هممهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم[1] .

16- الصبر على البلاء:

(1) ينظر تيسير الكريم الرحمن ص235 .

وهو من أعظم سمات الرجولة، وقد ورد الأمر بالصبر وبيان عاقبة أهله في آيات كثيرة من القرآن الكريم، فأمر الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم وبيَّن له أنه منهج صفوة الله من أنبيائه المرسلين، قال تعالى ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[الأحقاف 35] وأخبر أن الصبر مؤهل أساس للقيادة والإمامة فقال ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤ ﴾[السجدة] وأخبر بمعيته ومحبته للصابرين فقال ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩ ﴾[البقرة] وقال ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ ﴾[آل عمران] وقال في جزاء الصابرين ﴿ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦ ﴾[النحل] وقال ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠ ﴾[الزمر].

وسطر النبي صلى الله عليه وسلم بسيرته وحياته كلها أعظم نماذج للصبر، إذ لقي من المصاعب والأذى في سبيل تبليغ رسالة ربه ما لقي من قومه ومن أعداء دينه، وكذلك أصحابه الأطهار رضوان الله عليهم، كانت حياتهم مليئة بنماذج الصبر العظيمة، فعذب كثير منهم، وطردوا وشردوا من ديارهم وأهليهم وأموالهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبرهم ويسليهم بأن عاقبة صبرهم الجنة، فكانوا حقاً رجالاً صابرين، والأمثلة في ذلك من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر .

17- ضبط النفس عند الغضب:

من سمات الرجولة ضبط النفس عند الغضب وعدم التسلط على من هو أضعف، كالمريض والمرأة والصغار، فإن التسلط عليهم وعدم ضبط النفس ليس من سمات الرجولة، ولذلك وصف موسى عليه السلام فعله حين زل فضرب ذلك الرجل وقضى عليه بقوله ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ١٥﴾[القصص] ويوضح ذلك أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يمسك نفسه عند الغضب »[1] .

18- علو الهمة وعدم الرضا بما دون الكمال:

فمن سمات الرجولة أن يسمو إلى الكمال ما دام قادراً على ذلك، ويستصغر ما دون النهاية من معالي الأمور، ويطلب من كل أمر أعلاه وأقصاه، ويستصغر كل ما وصل إليه إن كان هناك ما هو فوقه أو أعلى منه .

والإنسان القادر على الكمال إن ترك ذلك وفرط فيه كان عيباً في حقه، كما قال المتنبي[2]:

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

ومن كان قادراً على بلوغ الكمال يلوم نفسه على تَرْك الكمال، فتكون نفسه لَوَّامَة، كما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾[القيامة][3].

والهمة في طلب الكمال علامة على كمال العقل ورجحانه يقول ابن الجوزي: « من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دنيء »[4] .

19- التواضع:

(1) رواه البخاري 38/8 برقم (6114) ومسلم 30/8 برقم (6809) .

(2) ديوان المتنبي ص483 .

(3) ينظر الدر المنثور 97/15 وتفسير الطبري 469/23 والقرطبي 406/21 .

(4) صيد الخاطر ص43 .

وهو من سمات الرجال العظماء؛ وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة لعباده، والله يحب التواضع ويبغض المهانة والضعة، وقد أمر الله به نبيه الكريم الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الحجر] وقال تعالى ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾[الشعراء] وقد قال صلى الله عليه وسلم: « إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد »(1) فامتثل ذلك الخلق، فكان سيد المتواضعين، وقد أنزل الله عليه أن الجنة دار المتواضعين، قال تعالى ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[القصص] .

فتواضع صلى الله عليه وسلم تواضعاً لم تشهد له الدنيا مثيلاً، تواضع مع أهله وأصحابه ومع الناس أجمعين، ومن تواضعه أنه أتاه رجل فأصابته من هيبته صلى الله عليه وسلم رعدة فهدأ من روعه وسكن نفسه بقوله: « هون عليك إني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد »(2) .

وهكذا كان عظماء الرجال من أصحابه الكرام ومن بعدهم .

20- الكرم:

(1) رواه أبو داود 425/4 برقم (4897) والبخاري في الأدب المفرد 153/1 برقم (428) والبيهقي في شعب الإيمان 52/9 .

(2) رواه ابن ماجة 430/4 برقم (3312) والحاكم في المستدرك 506/2 برقم (3733) والبيهقي في دلائل النبوة 69/5 .

وهو من سمات الرجولة، التي يفاخر بها العرب، وخاصة إكرام الضيف، وقد أثنى الله بها على خليله إبراهيم عليه السلام، فقال تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ ... ﴾[الذاريات 24-27] وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾[هود] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه »[1] .

وكان صلى الله عليه وسلم سيد الكرماء، يجود بما يملك[2] .

21- القوامة على النساء:

وهي من أخص سمات الرجولة، بل هي حق شرعي للرجال على النساء، وأمر واجب عليهم، قال الله تعالى ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[النساء 34] فتفضيلهم عليهن لما جبلوا عليه من الصفات، وما أودعه الله فيهم من زيادة القوة والإرادة والعزيمة في تصدر الأمور، واختصاصهم بالولايات والنبوة والرسالة، وكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع، وبما خصهم الله به من الصفات والقدرات التي

(1) صحيح البخاري 13/8 برقم (6018) .

(2) كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه البخاري 5/1 برقم (6) ومسلم 73/7 برقم (6149) .

ليس للنســاء مثلها، ولما خصــهم به من النفقات على الزوجات، وكثير من النفقات التي يختص بها الرجال ويتميزون بها عن النســاء، ولذلك حذف المفعول في الآية من قوله ﴿ وَبِمَآ أَنفَقُواْ ﴾ ليدل على عموم النفقة(1) .

والقوامة ليســت تشــريفاً للرجال فحســب، بل هي تكليف لهم أيضــاً، وواجب عليهم، فلا تنتظم مصــالح الحياة الزوجية والأســرة إلا بقيام الرجال بواجب القوامة، فهم المكلفون شــرعاً بإعالة الأسـر وصـيانتها وحمايتها، وعلى عاتقهم تقع مسـؤولية البيت، وعليهم القيام بتبعات القوامة على أحسن وجه، ولهذا رفعهم الله على النساء درجة، قال تعالى ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[البقرة 228] أي: وللنســاء على بعولتهن من الحقوق واللوازم مثل الذي عليهن لأزواجهن من الحقوق اللازمة والمسـتحبة ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ أي: زيادة حق عليهن، وهي درجة القوامة(2) .

وهذه الرفعة للرجال بالقوامة لا تعني إلغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع الإنساني ولا إلغاء دورها البارز في بناء الأسرة والمجتمع، وإنما هو توزيع للواجبات، بما يتفق مع طبيعة وفطرة وقدرة كل من الرجل والمرأة، فالإسلام أراد بهذا أن يصون المرأة ويحافظ على كرامتها، وألا يعرضها للأذى والسوء(3) .

والقوامة أيضاً لا تعطي الحق للرجال في الاستبداد والتعسف والتسلط على النساء، وإنما هي تكليف وعبء على الرجال بالإدارة والرعاية والولاية والنفقة(4) .

(1) ينظر تيسير الكريم الرحمن ص177 وأضواء البيان 17/3 .
(2) ينظر التفسير الوسيط 125/1 وتيسير الكريم الرحمن ص101 .
(3) ينظر التفسير الوسيط 124/1 .
(4) ينظر التفسير الوسيط 125/1 .

والقوامة لا تنافي ما أمر الله به الأزواج من حسن التعامل والرحمة لأهلهم وزوجاتهم واللين والرفق بهم، قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الروم 21] .

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على حسن التعامل مع الأهل والزوجات فقال: « خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي »(1) .

وقال صلى الله عليه وسلم: « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم »(2) .

22- الغيرة:

وهي من أبرز سمات الرجولة التي كان العرب قبل الإسلام يحرصون عليها، فكانوا يفاخرون بالعفة والغيرة على المحارم، ويعدون المرأة ذروة شرفهم وعنوان عرضهم، ولذلك تفانوا في حمايتها والمحافظة عليها والدفاع عنها زوجة وأماً، وابنة وأختاً، وقريبة وجارة، حتى يظل شرفهم سليماً من الدنس، وعرضهم بعيداً عن أن يمس، ولم يكن شيء يثير القوم كالاعتداء على نسائهم، أو المساس بهن، ولذلك كانوا يتجشمون في الدفاع عنهن كل صعب، ولا يبخلون بكل غالي، وكانت العفة شرطاً من شروط السيادة، كالشجاعة والكرم .

---

(1) رواه الترمذي 709/5 برقم (3895) وقال : « هذا حديث حسن غريب صحيح ».

(2) رواه الترمذي 466/3 برقم (1162) وقال : « حديث حسن صحيح » وابن حبان 483/9 برقم (4176) ونحوه في سنن ابن ماجه 148/3 برقم (1978) ومسند البزار 311/14 برقم (7947) وتهذيب الآثار 409/1 برقم (680) .

وكانوا يحرصون على عفة النساء عامةً ونسائهم خاصة، ويعتنون بستر النساء ومنعهن من الظهور أمام الرجال، يقول الأفوه الأودي(1):

نقاتل أقواماً فنسبي نساءهم   ولم يرَ ذو عزٍ لنسواننا حجلا

فيفخر بأنه لا يرى أي إنسان الخلخال الذي تلبسه المرأة من نسائهم في قدميها لشدة تحريهم في عدم إظهار نسائهم .

وكانوا يفخرون بغض البصر عن الجارات، ويعتبرون ذلك من العفة والغيرة على الأعراض، وجاء دين الإسلام بالحث على مكارم الأخلاق ونشر الفضائل ومنها الغيرة على الأعراض، فأكد ذلك الخلق الأصيل الكريم، وحث عليه وعززه، وحمد تلك الغيرة، وشجع المسلمين عليها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: « أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، والله أغير مني » (2) وقال صلى الله عليه وسلم: « إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرّم الله » (3) وقال صلى الله عليه وسلم: « ما من أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش » (4) .

فالمؤمن الحق صاحب الرجولة يستمد غيرته على محارمه من أمر ربه له بحفظ محارمه وأهل بيته قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾[التحريم] ومن اقتدائه بنبيه وهو أغير البشر صلى الله عليه وسلم، فالرجل غيور بلا شطط، يغار على محارم الله

(1) ينظر الأغاني 198/12 .
(2) رواه البخاري 215/8 برقم (6846) ومسلم 211/4 برقم (3837) .
(3) رواه البخاري 45/7 برقم (5223) .
(4) رواه البخاري 45/7 برقم (5220) ومسلم 100/8 برقم (7167) .

أن تنتهك، يغار على أي امرأة، قريبة له كانت أم أجنبية، يغار عليها من كل مجرم أثيم .

المبحث الثالث: وسائل تنشئة الرجولة في نفوس الشباب:

إنّ لتنشئة الرجولة في نفوس الشباب وسائل عديدة، وفيما يلي ذكر أهم وسائل وأسباب تنشئتها وتدعيمها في نفوسهم، وهي كما يلي:

1- مناداة الأبناء بالكنية:

وذلك مما ينمّي الإحساس بالمسئولية، ويُشعره بأنّه أكبر من سنّه فيزداد نضجه، ويرتقي بشعوره عن مستوى الطفولة المعتاد، ويحسّ بمشابهته للكبار، إضافة إلى ما في الكنية من الإكرام والتقدير .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكنّي الصّغار؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: « كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، قال أحسبه فطيم، وكان إذا جاء قال: يا أبا عمير ما فعل النغير .. »[1] والتكنية نوع تكبير وتفخيم للمكنى، وإكرام له، قال الشاعر[2]:

أكنيه حين أناديه لأكرمه ولا أناديه والسوءة اللقب

وعقد ابن القيم فصلاً في جواز تكنية المولود بأبي فلان وأورد فيه حديث أنس، ثم قال: « وكان أنس يكنى قبل أن يولد له بأبي حمزة، وأبو هريرة كان يكنى بذلك ولم يكن له ولد إذ ذاك، وأذن النبي لعائشة أن تكنى بأم عبد الله ... ويجوز تكنية الرجل

(1) رواه البخاري 55/8 برقم (6203) ونحو ذلك ما جاء عن أم خالد بنت خالد قال : « أتي النبي صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال : من ترون نكسو هذه؟ فسكت القوم، قال : ائتوني بأم خالد، فأتي بها تُحمل، فأخذ القميصة بيده فألبسها، وقال : أبلي وأخلقي، وكان فيها علم أخضر، أو أصفر، فقال : يا أم خالد هذا سناه، وسناه بالحبشية حسن » رواه البخاري 191/7 برقم (5823) .

(2) ينظر خزانة الأدب 142/9 .

الذي له أولاد بغير أولاده، ولم يكن لأبي بكر ابن اسمه بكر، ولا لعمر ابن اسمه حفص، ولا لأبي ذر ابن المنذر ابن اسمه ذر، ولا لخالد ابن اسمه سليمان، وكان يكنى أبا سليمان، وكذلك أبو سلمة، وهو أكثر من أن يحصى، فلا يلزم من جواز التكنية أن يكون له ولد، ولا أن يكنى باسم ذلك الولد »(1).

وهذا المنهج التربوي هو من سنة النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال الله عنه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾[القلم].

فقد كان صلى الله عليه وسلم ينبسط إلى النساء والصبيان ويمازحهم ويداعبهم .

2- أخذ الأبناء للمجامع العامة وإجلاسهم مع الكبار:

وهذا مما يلقّح أفهامهم ويزيد في عقولهم، ويحملهم على محاكاة الكبار، ويرفعهم عن الاستغراق في اللهو واللعب، وكذا كان الصحابة يصحبون أولادهم إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، ومن القصص في ذلك: ما جاء عن معاوية بن قرة عن أبيه قال: « كان نبي الله صلى الله عليه و سلم إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيقعده بين يديه ... »(2) .

وقد كان السلف من الصحابة ومن بعدهم يحرصون على ذلك مع أبنائهم بل ومع غيرهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم لِمَ تُدخلُ هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله، فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال وما رُئيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ ﴾[النصر 1، 2] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي يا ابن عباس أكذاك

(1) تحفة المودود 134/1 .

(2) رواه النسائي 118/4 برقم (2088) وصححه الشيخ الألباني .

تقول ؟ قلت: لا، قال: فما تقول ؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ فتح مكة فذاك علامة أجلك ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣ ﴾ قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم »[1] .

3- تربيتهم على السيرة النبوية وسير العظماء من رجال الإسلام:

لأن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم تمثل أعظم نموذج للرجولة ولسمات الرجولة الحقة، وقد قال الله تعالى ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ﴾[الأحزاب 21] فهو صلى الله عليه وسلم قدوة في جميع الأمور، ثم أصحابه الكرام رضوان الله عليهم ومن بعدهم من السلف الصالح، فقد تربوا في مدرسة النبوة وتخلقوا بأخلاق الرجولة الحقة .

والجهل بالسيرة النبوية وسير السلف الصالح من أسباب ضياع سمات الرجولة، والتخلق بضدها .

4- تحديثهم عن بطولات السابقين واللاحقين وانتصارات المسلمين:

وفي ذلك تعظم للشجاعة في نفوسهم، وهي من أبرز سمات الرجولة، كان للزبير بن العوام رضي الله عنه طفلان أشهد أحدهما بعضَ المعارك، وكان الآخر يلعب بآثار الجروح القديمة في كتف أبيه كما جاء في الرواية عن عروة بن الزبير أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للزبير يوم اليرموك: « ألا تشدُّ فنشدُّ معك ؟ فقال: إني إن شددت كذبتم، فقالوا: لا نفعل، فحمل عليهم (أي على الروم) حتى شقّ صفوفهم فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً فأخذوا (أي الروم) بلجامه (أي لجام الفرس) فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضُربها يوم بدر .

(1) رواه البخاري 190/5 برقم (4294) .

قال عروة : كنت أُدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير، قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ وهو ابن عشر سنين، فحمله على فرس ووكل به رجلاً »[1] .

قال ابن حجر في شرح الحديث: « وكأن الزبير آنس من ولده عبد الله شجاعة وفروسية فأركبه الفرس وخشي عليه أن يهجم بتلك الفرس على ما لا يطيقه، فجعل معه رجلاً ليأمن عليه من كيد العدو إذا اشتغل هو عنه بالقتال .

وروى ابن المبارك في الجهاد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير أنه كان مع أبيه يوم اليرموك , فلما انهزم المشركون حمل فجعل يجهز على جرحاهم – أي يُكمل قتل من وجده مجروحاً, وهذا مما يدل على قوة قلبه وشجاعته من صغره[2] .

5- إعطاء الصغار قدرهم وقيمتهم في المجالس:

ومما يوضّح ذلك حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: « أُتي النبي صلى الله عليه وسلم بقدح فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم، والأشياخ عن يساره، فقال: يا غلام أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ ؟ قال: ما كنت لأوثر بفضلي منك أحداً يا رسول الله فأعطاه إياه »[3] .

6- تعليمهم الرياضات الرجولية:

كالرماية والسباحة وركوب الخيل، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتعلم الرمي، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: « مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر

(1) رواه البخاري 97/5 برقم (3975) .
(2) فتح الباري 300/7 .
(3) شرح صحيح البخاري لابن بطال 493/6 .

من أسلم ينتضلون، فقال: ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان، قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لكم لا ترمون ؟ قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟!! قال: ارموا فأنا معكم كلكم »[1] .

وعن ثُمَامَةَ بن شُفَيٍّ أنه سمع عقبة بن عامر يقول: « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي »[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: « كل شيء ليس من ذكر الله فهو سهو ولهو إلا أربعاً، مشي الرجل بين الغرضين، وتأديبه فرسه، وتعلمه السباحة، وملاعبته أهله »[3] وقال صلى الله عليه وسلم: « علموا أبناءكم السباحة والرمي، والمرأة المغزل »[4] .

7- تجنيبهم الميوعة وأفعال النساء:

فمن واجب الأولياء أن يحرصوا على أن يتخلق أبناؤهم بأخلاق الرجولة وأن يبتعدوا عن الميوعة وسمات الأنوثة والأعمال التي لا تليق إلا للنساء، وهي كثيرة منها: كثرة التأنق، وقصات وتسريحات الشعر، وصبغه بألوان معينة، والملابس الضيقة، والتكسر في الكلام والمشي، واستخدام عبارات النساء، وإطالة الأظافر،

(1) صحيح البخاري 45/4 برقم (2899) .

(2) صحيح مسلم 52/6 برقم (5055) .

(3) رواه النسائي في السنن الكبرى 177/8 برقم (8891) والبيهقي في السنن الكبرى 15/10 برقم (20233) وصحح الألباني إسناده كما في صحيح الجامع 833/2 وفي رواية : « كل لهو باطل ، إلا ركوب الخيل والرمي ، ولهو الرجل مع أهله ، فعليكم بركوب الخيل والرمي ، والرمي أحبها إلي » فضائل الرمي للقراب 287/1 برقم (14) .

(4) رواه البيهقي في شعب الإيمان 135/11 برقم (8297) وفي رواية : « علموا أبناءكم السباحة والرماية ، ونعم لهو المؤمنة في بيتها المغزل ، وإذا دعاك أبواك فأجب أمك » معرفة الصحابة 111/4 برقم (1194) وعن عمر رضي الله عنه قال : « علموا أولادكم العوم والرماية، ونعم لهو المرأة المغزل » العيال 579/2 برقم (398) .

واستخدام مساحيق التجميل الخاصة بالنساء، والرقص كالنساء، ولبس ما يخص النساء، فذلك كله ليس من شأن الرجال ولا من سمات الرجولة، وإنما هو من شأن النساء، فقد قال الله عنهن ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝١٨﴾[الزخرف] وهذا لا يناسب الرجال، بل ينافي الرجولة، وحسب ما يتربى عليه الأبناء يكونون، وقد قال أبو العلاء المعري(1):

وينشأُ ناشئُ الفتيانِ منَّا ... على ما كانَ عودهُ أبوهُ

وعلى الأولياء أن يحذروا مما يؤدي إلى الميوعة في الشباب كضعف تربيتهم، وعدم مراقبة سلوكياتهم، والسكوت عن أخطائهم بدعوى صغر السن، والتهاون في ملابسهم التي قد تكون في ضيقها وصفتها كملابس النساء، والخلط الدائم بين الأولاد والبنات بدعوى أنهم أقارب وصغار، والتدليل الزائد للأطفال، والإعلام الفاسد على اختلاف وسائله، التي تحمل من ثقافات الغرب التي تدعو صراحة إلى الميوعة، والصحبة السيئة التي تزين السوء في صورة الانفتاح والأريحية، والاختلاط بين الطلاب والطالبات في بعض المدارس والجامعات .

8- زرع الثقة في نفوسهم وعدم إهانتهم واحتقار أفكارهم:

فالثقة بالنفس من أكبر دوافع الشعور بالرجولة الحقة، أما إهانتهم واحتقارهم وانتقاص قدرهم واطّراح أفكارهم، وخاصة أمام الآخرين، فهي مما يكسر في نفوسهم الشعور بالثقة .

(1) ديوان اللزوميات 413/2 .

فالواجب تشجيع الأبناء وإعطاؤهم قدرهم وإشعارهم بأهميتهم، ورفع معنوياتهم، فهو مما يزرع الثقة في نفوسهم، ويمكّن سمات الرجولة فيهم .

9- إلقاء السّلام عليهم:

فقد جاء عن أنس بن مالك: « أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مرَّ على غلمان فسلّم عليهم»[1] وكان من أثر ذلك الخلق وتلك التربية توارث الأجيال لها وحرصهم عليها، فعن شعبة عن سيار قال: « كنت أمشي مع ثابت البناني فمرَّ بصبيان فسلم عليهم، وحدَّث ثابت أنه كان يمشي مع أنس فمرَّ بصبيان فسلم عليهم، وحدَّث أنس أنه كان يمشي مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فمرَّ بصبيان فسلم عليهم »[2] .

10- استكتامهم الأسرار:

وقد كان ذلك من أفعال النبي صلى الله عليه مع صغار الصحابة، كما فعل صلى الله عليه وسلم مع أنس رضي الله عنه، فقد روى مسلم عن ثابت عن أنس قال: « أتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان قال فسلم علينا فبعثني إلى حاجة فأبطأت على أمي فلما جئت قالت ما حبسك ؟ قلت بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة قالت ما حاجته ؟ قلت إنها سر قالت لا تحدثن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا قال أنس والله لو حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت »[3] .

(1) رواه مسلم 5/7 برقم (5791) .
(2) رواه مسلم 1708/4 برقم (2696) .
(3) رواه مسلم 160/7 برقم (6533) .

فكان أنس رضي الله عنه يشعر بهذه الخاصية العظيمة، وهي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خصه بسرّه، ولذلك كتمه حتى عن أمه، وذلك من سمات الرجولة، التي يزرعها هذا الأمر في نفوس الصغار قبل الكبار .

11- تعليمهم الجرأة في مواضعها:

وتعليم الأبناء الجرأة في محلها، كالجرأة على الأذان، أو الإمامة في الصلاة، أو الخطابة، أو الحديث في أي مجمع، ونحو ذلك، مما يزرع في نفوسهم الثقة وقوة الشخصية ويبني فيهم سمات الرجولة .

12- إبعادهم عن حياة التّرف والدّعة والكسل والرّاحة والبطالة:

لأن الترف والكسل مما يفسد أخلاق الرجال، وقد قال عمر رضي الله عنه: اخشوشنوا فإنّ النِّعَم لا تدوم .

وكمال الرجولة والمقامات العلية لا تنال بالترف، ولذلك لما أراد الله أن يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم هيأه لهذه المهمة الجليلة، فعصمه منذ صغره مما يقع فيه أمثاله وأترابه من فتيان قريش وشبانها، ونشأ تلك النشأة الخاصة التي نشأ بها فتعلم خلالها الصبر على الشدائد وعلى مكابدة الحياة بين اليتم وبين رعي الغنم وبين التجارة .

فلم ينشأ في حلل الترف والنعيم، وإنما نشأ يتيم الأبوين يرعى الغنم في فتوته ويشتغل بالتجارة في شبابه حتى يتعلم الصبر على الشدائد وعلى مكابدة الحياة .

ومن أسوأ نتائج حياة الترف اللاهية العابثة المتحللة من القيود والضوابط الأخلاقية والآداب الشرعية ذلك الانفلات الأخلاقي والتحلل المعنوي الذي يصيب أصحابها حتى لا يبقى لديهم شيء من الغيرة والحشمة والحياء، كما حدث لعزيز مصر لما قام الدليل لديه على إدانة امرأته، وثبت له أنها هي التي راودت يوسف عن نفسه، فلم

يحرك ساكناً، وإنما كان غاية ما تصرف به أن قال ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[يوسف] وهكذا تصنع الحياة المترفة المسرفة المتحللة اللاهية العابثة، فتقضى على ما في الرجل من معاني الرجولة والغيرة والحياء, وهي الدياثة التي ذم الرسول صلى الله عليه وسلم صاحبها بقوله: « لا يدخل الجنة ديوث »[1] والديوث هو الذي يرضى على أهله بالسوء والفحشاء والدنس، لا يغار عليهم ولا يحاول منعهم من السوء والفحشاء وحمايتهم من الدنس .

فالواجب حماية الأبناء من حياة الترف، التي لا تضبطها الضوابط الأخلاقية ولا تقيدها الآداب الشرعية، للحفاظ على رجولتهم وتقويتها في نفوسهم .

13- تجنيبهم مجالس الباطل واللهو والغناء:

وذلك لأنها منافية للرّجولة ومناقضة لصفة الجِدّ، وقد أثنى الله على من يجتنب ذلك، فبين أن من صفات عباد الرحمن أنهم ﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾[الفرقان] أي: لا يحضرون الزور وهو القول والفعل المحرم، فيجتنبون جميع المجالس المشتملة على الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة، كالخوض في آيات الله والجدال الباطل والغيبة والنميمة والسب والقذف والاستهزاء والغناء المحرم وشرب الخمر، ونحو ذلك، ولا يقولونه ولايفعلونه، ويحذرون الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة دينية ولا دنيوية .

(1) رواه الطيالسي في مسنده 33/2 برقم (677) وابن خزيمة في التوحيد 552/1 برقم (582) وعبد الرزاق في مصنفه 243/11 برقم (20437) .

فينزهون أنفسهم ويكرمونها عن الخوض فيه ويرون أن الخوض فيه وإن كان لا إثم فيه فإنه سفه ونقص للمروءة فيربأون بأنفسهم عنه[1] .

(1) ينظر تفسير ابن كثير 130/6 البغوي 98/6 وتيسير الكريم الرحمن ص587 .

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً

وبعد:

ففي تمام هذ البحث الشيق الذي عشت فيه بفضل الله ثم بفضل مشاركتي به في هذا المؤتمر المبارك مع آيات كتاب الله تعالى التي تسطر معالم الرجولة وسماتها، وهو من أنفع ما يعمل فيه المسلم ذهنه ويقضي فيه وقته .

وفي ختامه أسطر أهم النتائج التي ظهرت لي من خلاله، وهي كالآتي:

- أعظم سمات الرجولة ما قرره القرآن الكريم وأثنى به على الرجال العظماء .

- الرجولة في أصل إطلاقها مرادفة للذكورة، وهي مقابلة الأنوثة، وبهذا الإطلاق ليست صفة ممدوحة، وإنما الممدوح هو الرجولة التي هي قوة إيمانية روحية تكمن في النفس فتحمل صاحبها على التحلي بمكارم الأخلاق ومعالي الأمور، وتُبعده عن المنكرات والسفاسف .

- كل رجل ذكرٌ، وليس كل ذكر رجلاً، والإنسان لا يمدح لكونه ذكراً لأن ذلك خلق الله، ولا دور للإنسان فيه، وإنما يمدح الذكر لرجولته واتصافه بصفاتها، وتحقيقه لمقتضياتها .

- لم يرد ذكر الرجولة في القرآن الكريم بصيغة المصدر، وإنما ورد عدد من مشتقاتها في سبعة وخمسين موضعاً، وهي (رجل، ورجلان، ورجال - منكَّرة ومعرَّفة-) ويختلف المراد بها، فبعضها يراد به النوع والجنس المقابل للأنوثة، وبعضها يراد به بعض صفات الرجولة، وبعضها يراد به النوع والصفة معاً .

- سمات الرجولة عديدة منها ما جاء التصريح فيه بأحد الألفاظ المشتقة من لفظ الرجولة، ومنها ما لم يرد فيه شيء من ألفاظها لكنه متضمن لسمات الرجال العظماء، والحث على الاتصاف بها .

– سمات الرجولة منها ما هو في علاقة المرء بربه، ومنها ما هو في علاقته بالخلق، ومنها سمات ذاتية تحمل صاحبها على التخلق بالأخلاق الفاضلة، والتصرفات الحميدة .

– لتنشئة الرجولة في نفوس الشباب وسائل عديدة، تقوم على التربية الأسرية، والمخالطة الاجتماعية، والربط بسير العظماء من رجال الإسلام، والنأي بهم عن مفسدات الرجولة .

هذه أهم النتائج التي تتجلى من هذا البحث، وإن كان قد حوى في طياته أكثر منها، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .